3- وردة

سلمى وليد

مزيكا؟، مستغربة أني لسه فاكر صح؟

قال جملته وظهره لها ويقوم بتنظيف أسطوانة الجرامافون فلطالما فضلها لأنها تعطي صوتا أنقى، وأكمل كلامه متنهدا:

- أنا منستش أي حاجه تخصك أو كانت بينا في يوم لسه فاكر ريحتك وضحكتك ومشيتك وبحس بمسكة أيدك في أيدي حتى وأنتي بعيده عني.

استحال عشقه في التنهيد لغضب جم.. فالتفت إليها لأول مرة ترى وجهه وتعلم عنه ذاته، لم تتخيل أن يكون هو ولا أن يجتمعوا ولا حتى صدفه.. قطع تفكيرها بصوته الذي تحول من الوداعة إلى الغضب صارخا:

- مكنش ينفع تسيبيني برضو وتبعدي بالمنظر ده، عاجبك اللي إحنا فيه دلوقتى وكل واحد بعيد عن التاني وبنتعذب بسبب الفراق اللي إحنا فيه؟

أمسك جريدة تحمل عنوان اليوم.."إذا فهو يخرج من وقت للآخر" هكذا حدثت ذاتها قبل أن يقطع أفكارها قائلا:

- تخيلي كاتبين عنك في الجرايد بالمانشيت العريض.. "الدكتورة النفسية المشهورة نسمة أبو العلا تم اختطافها منذ ما يقرب 52 ساعة".

ثُم راح يَصرُخ غاضِبَا ملقيا الأوراق على الأرض من غضبه وكأن ثورا رأى قماشته الحمراء فأثار جنونه فصرخ قَبل أن يَهدأ عاشِقاً:

- أغبية كتبوا اسمك غلط أنتي وردة اسمك وردة.. تخيلي مسمينه خطف!، بس نوعا ما كلامهم صح.. أنتي خطفتيني.

قال جُملَتَهُ الأخيرة وهو يُرَتب خُصلات شَعرِها الأحمَر المُجَعَد اللاصِق بوَجهِها مِن دِموعِها الغَزيرة وفي الخَلفية أم كلثوم تَنُدب لقَلبِها قائِلة:

"يا قلبي آه الحُب وراه اشجان وألم واندم واتوب وعلى المكتوب ميفيدش ندم".

فراح يُغني عَاليًا مُبتَعِدًا عَنها ليَجلِس على الكُرسي المُقابِل لها مُلاصِقًا للحائط جَلَس حتى انتهى المقطَع وبدأت تُطرِبَه الست بمقطع آخر فنَظَر لها وعَيناه تَلمَعان جُنونًا ووَلَهُه المَريض بوردَتِه الحَمراء قائِلًا:

- الست بتقولك ميفدش ندم، بس أنا عمري مندمت على أني حبيتك بالعكس أنتي خليتي دنيتي أحلى؛ بصي جبتلك أيه ورد أحمر زيك ولو أنك أحلى من كل الورد الأحمر.

كان وَقتَها راكِعًا أمام كُرسيها مُمسِكًا ببوكيه الورد واضِعًا كَفَه على وجنتيها كما تمنى مُنذ أمد أن يَشعر بحرارة خديها الورديين المنتفخين، فسَرِح فيهما مغنيًا "يا قلبي آه".

- يا قلبي آه فعلا، أنا عمري مشوفت فجمالك، ممكن تبطلي عياط عشان خاطري؟.

ثم اتكأ على يَدَي كُرسيها قائِلاً:

- أنا هفكك دلوقتى بس ي حبيبتى؛ أقولك حبيبتي ولا وردة؟، أنتي كده كده حبيبتي ومفيش حاجة هتفرقنا إلا الموت.

احتَدَت نَبرَتِه في جملَتِه الأخيرة وكأن الجحيم اجتمع في عَينَيه والزبانية بنَبرَتِه ولكن سَريعًا ما لَبِث أن عاد لهيئَة الحَمَل الوَديع مَرّة أخرى قائِلاً:

- أنا أسف أنا أسف أوي يا حبيبتي مش قصدي أخوفك، لما أشيل اللزق متصوتيش لأن ممنوش فايدة كده كده إحنا في حتة مهجورة ومحدش هيسمعك اتفقنا؟.

قامَت بإماء رأسِها موافِقة وعَيناها تكاد تكونان نفس لَون الورد الأحمَر المُسجي على قدميها مَجني عَلَيه مِثلها تمامًا راسِخين لأمره، لا حَول لَهُما ولا قوة، فتَنزِف هي دموعًا وينزف ورده حُزنًا على حالِها، يُطِيعان أمرِه فلم يتحرَك مِن عليها ولم تَنطق هي بصُراخ ولكن أبت دموعها إلا تَصرُخ.

ظَلت تنظُر إليه بشرودِها البَاكي، تَنظُر لعَينَيه الحامِلة لمعاني الجُنون والوَلَه المَريض لتَنطِق لأول مَرة مُنذ أن أتَت قائلة:

- عَمار، أنت جايبني هنا ليه؟ عايز مني أيه!

- صوتك وحشني ي وردة، هنا مش هيعرفوا يفرقونا تاني ي حبيبتي خلاص متخافيش هنفضل سوا طول العمر، أنا هطلع اجيبلك أكل يا حبيبتي

وردة: عمار أنت عارف أن مفيش حاجة حصلت بينا من الكلام اللي أنت قولته!

ولكن هيهات مر من الباب صافعا إياه وكأنه يغطي على صوتها لا يريد أن ينكر كذبة عقله التي اخترعها.

تتردد أمامه إحدى ذكرياته الحقيقية ولو أن الأمر اختلط في عقله بين الحقيقة والخيال.

***

علي الجانب الآخر من نفس البلد، وعلى جانب مختلف تماما كان يجلس الرائد "وائل منصور" وأمامه زوج الطبيبة "عمرو" لم يتخط الخامسة والثلاثين بعد من عمره ولكنه اكتسب وقارا لا يمتلكه أبا شيخا في عقده السادس، ولكن عجبا كم يمكن للغضب أن يضيع الإنسان ليس وقاره فقط.. فقد ضاع عمرو بأكمله عندما هب واقفًا أمام الرائد صارخا في وجهه:

- يعني أيه التهريج ده! ؛ يعني أيه مراتي مختفية بقالها أكتر من يومين ومحدش عارف يلاقيها.

لم يأت رد الرائد المباشر كلاما ولكنه أتى على شكل هدوء أعصاب في إشعال سيجارة بإحدى الولاعات ذات الغطاء قد أهدتها له زوجته في عيد ميلاده السابق، تسبب هدوء الرائد في جنون "عمرو" فأكمل نوبة غضبه قائلاً:-

- أنت بني آدم بارد يا أخي

جاءت هذه الجملة من فم عمرو المشمئز من مظهر وائل وبروده وهو يضرب الولاعة بيده حتى تسقط أرضا، فنظر لها وائل نافثا دخان سيجارته ثم نظر إلى عمرو وهو ينهض من كرسيه قائلا:

- خلصت نوبة الغضب بتاعتك؟ أنت عارف أن لولا صحوبيتنا أنت المفروض تكون في السجن دلوقتي؟

- بذمتك ده رد ترده عليا في موقف زي ده!

- عمرو أنا مقدر حالتك بس أنت لازم تهدي أنا شغال على القضية بنفسي ومتنساش أني واكل عيش وملح في بيتكم يعني نسمة كأنها أختي بالظبط بس العصبية مش هتحل أي حاجة.. الحل هو العقل

صرخ عمرو غاضبا:

- وحياه أمك! وإحنا عملنا أيه بالعقل اليومين اللي فاتوا؟ أنا مش عارف أقول أيه لبنتي يا وائل! اقولها امك اتخطفت واني معرفتش احميها واني مش قد الثقة اللي أمك حطيتها فيا يوم متجوزتني!!

- وهترجعلك بس لازم نصبر ونهدي عشان نعرف نفكر، أطلبلك قهوة مظبوط مش كده

زفر عمرو ضيقًا قبل أن يومأ رأسه بالموافقة على اقتراح صديقه الذي استكمل الكلام قائلاً:-

- دلوقتي بقا يا سيدي اقعد عشان عايز اسألك شوية أسئلة كده روتينية شوية لازم أعرفها عشان تقريبا وصلت لحاجة

تبدلت ملامح عمرو وارتسمت اللهفة عليها وهو يقول:

- خير يا وائل في أيه!

- نسمة قبل كده حكيتلك عن حالة من مرضاها أو حالة صعبة عليها خليتها متوترة؟

- نسمة مش من عوايدها تتكلم عن مرضاها طبعا، كانت تقول حاله صعبة أو سهلة.

- بس لكل قاعدة شواذها فكر كده كويس وأنا اوعدك أن الكلام اللي هتقوله مش هذكره في المحضر لو خايف عليها.

- هي ساعات كانت بتحكيلي لو الحالة غريبة عليها كنوع من الفضفضة لكن مش بتفاصيل أوي

- أيه هي الحالات دي؟

عقد عمرو حاجبيه وكأنه يعتصر الذاكرة، ظلت الذكريات تعصف بعينيه حتى توقف بسفينة العقل عند تلك الحالة، ليعيد النظر إلى صديقه قائلاً:-

- اغرب حالة حكيتلي عنها واحد كان عارف أنه عايش في وهم وبيحاول يحاربه بس حصل حاجه خليتها تحول المريض لدكتور تاني بس عمرها ما قالتلي حصل ايه قالتلي إنها أصعب من أن تقدر تتعامل معاها ومش عيب أن الإنسان يعرف قدره وقدرته

- والحالة دي من قد أيه؟

- 3 سنين تقريبا

- يبقا أنا ماشي صح

"حبيبتي أنا جبتلك الأكل"

كان الصمت يعم بالغرفة أكثر من أذني رجل أصم، كرسي اكتع القدم وشباك اعور القفل وورد مبعثر الأوراق داميا على الأرض، تتركه وتذهب لا تعلم عددا لهذه المرات ولكنها تركته.

إذن مرحبا بالزبانية بعينيه، أهلا بالجنون، ها قد اشتعلت عيناه غضبًا فجحظت وكأنهما قد رفضا مقربهما.. لهثت أنفاسه وتسارعت دقات قلبه وبدأت تلك الزمجرة بالخروج قبل أن يتحدث ذلك الصوت الأجش صارخاً:-

- هنقتلها.

عمار:- مقدرش أنا بحبها.

- أنا سايبك تتعامل فحياتك بس المره دي أنا اللي هتصرف

-أطلق الآخر آخر حروفه وهو يسحب مسدسه ويجهزه.

عمار: أرجوك أنا بحبها.

-أنت اهبل وهبلك ده اللي ودانا فداهيه.

خرجا مسرعين من المنزل يركضان لم يكن بمقدورها أن تبتعد كثيرا، أما عمار والآخر فقد وجدا ضالتهما فركضا تجاهها أحدهما يمني النفس باقتلاع عنقها والآخر يترجاه بألا يفعل فاجتمع كلاهما على صرخة من فم من يراه الجميع مذنب وهو ضحية نفسه لتتردد صدى صرخته بأرجاء الفراغ المحيط قائلاً:

- وردة.. لاقيتك يا وردة.

دموعها تنهمر تكاد تعميها تلفتت رغما عنها، كانت تعلم أنه ليس من المفترض أن تلتفت ولكنها فعلت فخذلتها خطواتها وكأنها تعاقبها على غبائها، فسقطت أرضًا كفريسة لا مفر لها من مخالبه.. اقترب منها عمار

شاهرًا مسدسه.. رأت بعينيه دموعًا تختلط بالشرار فعلمت أنها النهاية.. ولكنها قررت المحاولة، فتحدث والفزع يمتلكها قائلة:

- عمار أرجوك أنت لازم تفهم أنا مش وردة ولا حبيبتك سيبني امشي.

- مش هتروحي مني، مش هسيبك يا وردة.

- عمار أنا نسمة، نسمة ابو العلا دكتورتك النفسية أنا مش وردة.

جثا على ركبتيه مبتسمًا بأسى وبدأ بتحريك يده تدريجياً، فظنت أنه سيداعب وجنتيها كما يحب دائما، ولكنه رفع يديه لأعلى وصفعها بقوة.

صفعة كانت أم رعد يصرخ في السماء؟.. دوت شهقاتها بذلك المكان المهجور قبل أن يجذبها من شعرها الأحمر مساعدًا إياها على الوقوف وهو يتحدث ومن قبل صوته عيناه:

- أنتي وردة وردتي الحمرا ولو مش هتبقي معايا مش هتبقي.

انهي جملته مشيرا لقلبها بمسدسه لتصرخ دموعها قبل لسانها:

- عمار بلاش تعمل حاجه مجنونة.

- قولتلك أنتي حبيبتي ومفيش حاجة هتفرقنا إلا الموت يا وردة.

***

ظهر لمعان الحماس باديا على وجه الزوج المكلوم وكأنه وجد شعاع الشمس بعد سنين من الظلام، فوجد الأمل وما أصعبه من سلاح، فتحدث الرائد والأمل يغزو كلماته قائلا:-

- لما فتشت مكتب نسمة لقيت رف للحالات الغريبة واللي حولتها، مكانوش كتير حوالي 10 سمعت تسجيلاتهم ورسيت على واحد "عمار الديب" وفي تسجيل لازم تسمعه.

أنهى الرائد وائل حديثه.. قبل أن يضغط أزرار المسجل ليبدأ صوتها الذي اشتاق إليه "عمرو" بالحديث محاورًا عمار:-

نسمة: أزيك النهاردة يا عمار.

عمار: ازيي بحبك، وعامل أيه بموت فيكي.. وأخباري أني بعشقك يا وردة.. سامحيني بقى وتعالي نرجع لحياتنا

نسمة: أنا فهمتك أن كل ده وهم.

عمار: بس أنتي مش وهم يا وردة ومش هتبقي لغيري لو حصل أيه.

انتهى الحوار بينهما على تلك الكلمات قبل أن يبدأ صوت الطبيبة العذب بالحديث:-

"تقييم الجلسة الأخيرة: عمار أصبح متوهما بيا واخترعلي اسم وشخصية وأحداث في دماغه بيعوض بيها شيء مش عارفة أوصله، سماني وردة بسبب شعري الأحمر زي ما ذكرت في التسجيلات قبل كده.

بقالي مع عمار سنة بحاول أعالجه وللأسف يئست؛ وقررت بعد جلسة النهاردة أحول عمار لطبيب تاني"

وائل: فهمت ليه مقالتلكش وفهمت ليه أنا شاكك فيه؟

تحولت لمعه الأمل لغضب مشوب بالحزن قائلا: وهنعمل أيه دلوقتي؟، وائل أنا عايزه ميت.

- وهيبقى بس بالقانون أنا عرفت أوصل لشقة في حتة مهجورة أكيد أخدها هناك هطلع إذن النيابة ونروح حالا.

***

شقة فارغة لا تحتوي على شيء سوى الفراغ لم يجدوا أي بصمات أو أشخاص والشقة ليست مسجلة باسمه فقد بيعت منذ الأسبوعين ومكانها مجهول فأمر الرائد أن يبحث رجاله حول المنزل، كل شيء بها

مغلق بأقفال وبأحد الغرف كسر قفل الشرفة إذا لابد أنها كانت هنا ولكن أين ذهبا، هكذا حدث وائل نفسه وقاطع افكاره عسكري: لقينا جثة.

لم يكن وقع الكلمات طيبا على أي منهما ولا تقرير الطبيب الشرعي ففقد نالت الضحية نسمة ابو العلا المتعرف على هويتها من قبل زوجها عمرو سامح برصاصتين في القلب المسافة بينهما 3ملي أدتا إلى الوفاة المباشرة للضحية.

كانت مراسم الدفن جميلة وقبرها كان أجمل ولكن الحزن لم يكن كذلك فقد صدم الخبر الجميع ولم تستطع الصغيرة استيعابه فسألت أباها الباكي وهو ممسكا يديها: هو ماما كده مش هترجع تاني؟

فلم يكن من أبيها إلا أنه احتضنها وأجهش بالبكاء كنهر لا ينضب مصدره أبدا.

وعند ذهاب الجميع أتي هو ليقف على قبرها كوحشٍ يبكي على فراق ضحيته، أو ضحية تندب لموت مفترسها قائلاً:

أنتي اللي خلتيني أعمل كده، أنتي السبب قولتلك متسبينيش بس مبتسمعيش الكلام يا وردة بس عرفت دلوقتي انك كنتي بتحبيني فسبتيلي وردة شبهك تانية مكانك؛ مسيرها تبقى بتاعتي وأنا متأكد أنها مش هتسيبني زيك.

ثم قام بوضع وردة حمراء على القبر التفت يلوح بيديه للصغيرة وكأنه يوعدها: هتكونيلي يا غسق.

***